بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة وردني سؤال

الحلقة (٢)

السؤال: هناك من يزعم أن تفسير الميزان في منهجيته من تفسير القرآن بالقرآن مخالف لمنهجية أهل البيت (عليهم السلام) من ضرورة الرجوع لهم في تفسير القرآن، وأن الاستقلال بتفسير القرآن من دون الرجوع لهم ينتهي لإخضاع تفسير القرآن بالرأي، وهو ما حذرت منه نصوص أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وأحاديث الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) بقولهم (من فسر القرآن برأيه هلك) أو (فليتبوأ مقعده من النار)[1]؟!

الجواب ومن الله التوفيق:

وقبل الشروع في الإجابة لا بأس بإلمامة سريعة بحياة السيد العلامة (قدس سره) العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي من مشاهير العلماء وأعاظم الأساتيذ وأفاضل المدرسين مزج العلم والأخلاق في شخصيته وجمع بين المعقول والمنقول.

ولد في آخر ذي الحجة عام ١٣٢١هـ في مدينة تبريز، وبعد دراسة مرحلة المقدمات في مسقط رأسه هاجر إلى مدينة العلم والعلماء النجف الأشرف، وحضر أبحاث أئمة العلم وجهابذة التحقيق من الفقهاء العظام أمثال:

١. السيد أبو الحسن الأصفهاني.
٢. الشيخ الميرزا النائيني.
٣. الشيخ محمد حسين الأصفهاني المعروف بالكمباني.

وأستمر في النجف الأشرف لمدة ١٠ سنوات ينهل من نمير علم مدينة أمير المؤمنين (عليه السلام)، ثم قفل راجعاً لمسقط رأسه تبريز مشتغلاً فيها بالتأليف والتصنيف والتدريس وفي العام ١٣٦٥ هـ عزم على الهجرة إلى البلدة الطيبة قم المقدسة، وأخذ بالاشتغال بتدريس المعقول والمنقول من الفلسفة والحكمة والفقه والأصول والتفسير.

والتف حوله ثلة من أهل العلم تبوءوا بعد ذلك كرسي التدريس والبحث والتأليف أمثال:

---

(١) سنن الترمذي ج٤، ص٢٦٨، ح٤٠٢٣.

١) الشهيد مرتضى مطهري.
٢) الشهيد السيد البهشتي.
٣) الشهيد الشيخ القدوسي.
٤) الشيخ الجوادي الآملي.
٥) الشيخ حسن ذاره الآملي.
٦) السيد رضا المرعشي.
٧) الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي.
٨) الشيخ الأميني.
٩) المرجع الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.
١٠) المرجع الشيخ حسين النوري الهمداني.

وهذا على سبيل المثال لا الحصر.

انتقل الى جوار ربه عام ١٤٠٣هـ، وصلى على جثمانه الشريف المرجع الديني الكبير السيد الكلبيكاني (قدس سره)، و ووري جثمانه في حرم السيدة المعصومة بنت مولانا الإمام موسى بن جعفر (عليهم السلام).

هذه إلمامة سريعة من أجل وقوف القارئ العزيز على البعد العلمي لهذه الشخصية الكبيرة وبعدها نعود للجواب:

انتهج العلامة الطباطبائي (قدس سره) في الميزان منهج تفسير القرآن بالقرآن في مقابل منهجين معروفين في تفسير القرآن وهما :

١- تفسير القرآن بالمأثور.
٢- تفسير القرآن بالعقل.
٣- ويضاف لذلك منهج التفسير الروحي والرمزي وهو منهج المتصوفة والعرفاء والمنهج الذي إنتهجه بعض العلماء في العصور المتأخرة وهو التفسير العلمي والعلوم الطبيعية.

واعتمد منهج تفسير القرآن بالقرآن بعد إبطال تلك المناهج وتفنيد تلك المسالك مستدلاً على منهجيته بأمرين:

الأمر الأول: أن القرآن قد وصف نفسه بالنور والكلام المبين وبأنه هدى للعالمين وتبيان لكل شيء، فكيف يكون من هكذا وصفه محتاج لغيره في توضيح مقاصده وبيان مداليله؟!

وأنه لو كان محتاجاً لغيره لكان ما هو نور في نفسه وهدى في نفسه مهدياً إليه بغيره ومستنيراً بغيره، فما هذا الغير وما شأنه وبماذا يهدي إليه؟، وما هو المرجع والملجأ إذا اختلف فيه؟

وقد اختلف وأشتد الخلاف.

الأمر الثاني: وإن لم يصرح به السيد العلامة (قدس سره) إلا أن كلامه يستبطن ذلك، وهو بطلان المسالك والمناهج الأخرى لما أورد عليها من إشكالات يتعين معها صحة منهج تفسير القرآن بالقرآن.

هذه خلاصة ما رام السيد العلامة قدس سره بيانه في توضيح منهجه.

وفي القسم الثاني من تتمة الجواب نوضح مدى موضوعية الإشكال وعدمها وصحة الإشكال وفساده.

حرره أقل طلبة العلم

محمود الحاج حسن آل الشيخ العالي